

الأعمال الكاملة للشاعر
عبد الوهاب البياتي

صوت السنوات
الضوئية

صَوْتُ السَّنَوَاتِ
الضَّوئِيَّةِ

SHOROKH INTERNATIONAL: 381/382 REDEBY STREET, LONDON W14, UK. TEL: 027 274314, TELEX: SHOROKH 267768

الأعمال الكاملة للشاعر
عبد الوهاب البياتي



صَوْتُ السَّنَوَاتِ
الضَّوئِيَّةِ

دار الشروق

يىلا أئمدولينا
النحلة العاشقة

في أدراج مكبي
لا يريدون أن يناموا
لأنهم أحياء
وأنه لعذاب أن يدفنوا أحياء
ولهذا ، فنحن نفترق
اذهب ، أنت ، يا شعري إلى الشعب
بيننا أذهب أنا
إلى حيث جميع الناس
ينتھون .

جوزيف برودسكي

ولدت بيلا أخمندولينا في موسكو عام ١٩٣٧ . ونشأت فيها .
وتشبع بروح التقاليد الدنياميكية التي ازدهرت في موسكو خلال
السنوات الثورية .

وهي فارطة الجمال وبالغة الأناقة . وضمت كل حماس الفنان
وعاطفته المشتعلة المشبوبة في فنا . فأصبحت إحدى علامات
الفتنة والسحر . فالاتحاد السوفيتي ... من البلاد القليلة في العالم
التي يستطيع فيها الشاعر عن طريق أعماله الإبداعية ، أن يصبح
نجماً لامعاً . يفوق نجوم السينما والفناء والمسرح ... والرياضة
والسياسة شهرة .

بدأ حبها الكبير بشعر باسترناك وبجورجيا التي كتبت بعض أعمالها الغنائية
عنها :

والله ، شهيد ، بأن حلمى بك ،
يا جورجيا عميق .

وقد بدأ نجمها فى الصعود فى أواخر الخمسينات ، عندما تزوجت بالشاعر
يفجينى يفتوشنكو وهو فى أوج نضوجه وشهرته ... وعندما نشر مجموعة من
قصائد الحب التى أهداها إليها . بدأت المجلات الأدبية المشهورة والنوادر
الأدبية والمؤسسات تتهافت عليها .

ولكن الموت أو الزمن الذى يحطم التيجان ويهزم الإمبراطوريات والأهواء
الباطلة والعشاق . كان له ولها . بالمرصاد ، فلم يلبث أن فرق بينها وبين يفجينى
يفتوشنكو ذلك لأن الرباط المقدس ، انتهى إلى الخصام والانفصام ... لأن

كل إرادة أو قوة تريد أن تسيطر أو تلغى الأخرى... كان على أحدهما أن يتنازل
للآخر عن وطنه الشعري الذى بناه ، ولما كان ذلك غير ممكن... لأن التنازل ،
بحد ذاته ، يعتبر إلغاء للآخر ، وجعله تابعًا .

والشاعر العظيم لا يؤمن بالواحد - لذاته - وبذاته - بل يؤمن به . طريقًا
إلى الكل ، كما يؤمن بالكل طريقًا إلى الواحد . وليست هنا . أى ثنائية فى هذه
الوحدانية الفاجعة... فالعاشق يعيش على حافة البؤس أو الشقاء معلقًا بخيط
أمل أسود . لا سبيل منه إلى النجاة أو الموت .

ينبض قلب الكائن اللامتناهى بالعشق . فننتقل صرخة من فمه فى برارى
الله الشاسعة... أقول لك : « ما هو هذا النور الأسود الذى يسكننا ؟ أقول
لك : ما هو هذا الحب ؟ سأطلق النار عليك ، وعلى نفسى ، لأوقف هذا
التزيف الأسود الأبدى . أنا راحل إلى حيث ذهب هذا الليل . اللعنة عليكم
جميعًا... الغزاة الذهبية فى المرج ، وأنا أعدو ورائها... من سيأتى معى ؟ » .

والشاعر ليس سيد الكلمات فقط ، وإنما هو تابع ومولى وسيد قدره ومصيره
أيضًا... لهذا فإن كلاً من بيلا أخمندولينا ويفجينى يفتوشنكو ، قد أصبح نجماً
لامعًا كبيرًا لا يمكن له أن يدور فى فلك الآخر ، ولا يمكن أن يستمد ضياءه
منه . كما أن حال كل منها ، كان شبه حال « ولأدة » الأندلسية التى كانت
تحترق بجها ، وتقول :

أخاف عليك من عيني ومنى
ومنك ، ومن زمانك والمكان
ولو أنى ضمنتك فى عيوى
إلى يوم القيامة ، ما كفى

لهذا كله ، ولغيره ، آثرا الطلاق ، على أن تظل الصداقة قائمة بينها .
وهكذا كان . أما الصوت الآخر الراحل ، فقد ظل يطالب بحقه فى الحياة .
تردد معه غابات روسيا الشاسعة : « أقول لك : ما هو هذا النور الأسود ؟ لقد
أصبحنا وحيدى ، وما أنذا ، الآن ، ألعنك . باسم الشعر » .

لقد أشعل « باسترناك » هشم الكلمات ، عندما قال مرة « كم هو شرير أن
يولد المرء شاعرا ... أقسم لك ... أن إيمان قلبى . هو أعظم مما كان . الآن .
وسأبقى الوقت - كلا - دعنى أخبرك . بذلك . فيما بعد . أيها الليل مزقنى
إربا . قطعنى مرقا . أيها الليل حوّل الكلمة المنسية الغاضبة . النارية
« الضمير » حوّلها إلى رماد ، أحرقتها بكل سطوع وتألّق ... التهب . بالسان
اللهب المجنون واسطع فى منتصف الليل ... للمرة الأولى منذ أيام طفولتى .
أجد نفسى محترقا ، منتيا ... كيف سأصف ذلك ؟ يجب أن أبدأ فى النهاية أو
أنى لن أكب ذلك على الإطلاق » .

وإذا كانت « أنا أخواتوفا » قد كتبت فى مقدمة المجموعة الشعرية التى

صدرت لها في موسكو عام ١٩٦١ المعنونة «كلمات قليلة عن نفسي» : «بأنها أصبحت صديقة البحر في سنوات شبابها . حيث كانت الخيول الفتيّة تتواثب حول محطة القطار القديمة» .

فإن «بيلا أحمديولينا» كانت صديقة وديان وجبال جورجيا . وإذا حاولت أخماتوفا أن تعود إلى قوة الكلمة نفسها «لأن كل كلمة . هي روح . روح حية . تختار جسدها الجميل» فإن بيلا أحمديولينا ملكة من ملكات النحل . لكنها ملكة عاشقة لا تموت لدى أول لمسة حنان . ولا تسكن في الكلمات . بل إن الكلمات هي التي تسكن فيها . وإذا كانت «أخماتوفا» عندما انتقلت من ليننغراد في عام ١٩٤١ بعد أن أصبحت المدينة شبه ميتة . من جراء الحرب . إلى موسكو ، ومنها إلى طشقند . قد عرفت في لبيب أضياف طشقند لأول مرة «ماذا يعني ظل الشجرة أو صوت الماء الجاري» فإن بيلا أحمديولينا . قد عرفت . وهي ترحل في الشوارع والعيون والأيدي . وفي داخل نفسها .

عيناي اللتان رأتا

ورأنا لا شيء ...

.....

منذ تلك الأيام الرهيبة

مئات السنوات مضت

عندما مت ، وحيداً ، فى البيت هنا
فقيراً بلا عمل أو أصدقاء

أحبها بعض شعراء الخمسينيات ، وتوددوا إليها . وأهدوها بعض
قصائدهم ، منهم الشاعر أندريه فوزينسنسكى الذى كتب عنها قصيدة بعنوان :
(إلى أخمندولينا) . ولعل أجمل وصف ورد فى تاريخ الشعر السوفيتى
الحديث . هو هذا الوصف ، لإحدى أمسيات أخمندولينا الشعرية ، الذى قام
بترجمته إلى الإنجليزية (أودن) :

« نهر من الشبان بوجوه . برح بها الوجد . ونساء متوسطات العمر .
بملايس سماء قاتمة . وجوه رمادية . بعضهن بعيون مغرورة بالدموع .
يتدافعن بالأيدى والمناكب .

امرأة جميلة تندفع على خشبة المسرح ، تتعل خفاً بكعبين عالين .
ملايسها الحريرية الزرقاء ، بالغة القصر ، شعرها الضارب إلى الحمرة مصفف
على أحدث طراز .

تنظر مثل دمية بعينها الواسعتين السوداوين المزوقتين ، تقف هناك ،
مرتبكة ، برهة ، ممسكة بالميكروفون . رافعة وجهها ثابتاً . غير مرئى من
الجمهور . بعد ستة أو سبعة انفجارات من التصفيق . ترفع ذراعها اليسرى
بوجل وبإيماء دائرية . يخيم صمت مطبق على جمهور المستمعين لثوان . »

يتيأ ليلا أحمولينا . لأول مرة . غدة قراءات شعرية في عدة أشهر .
هذه المرأة أكثر شاعرة شابة شهرة في الاتحاد السوفيتي . وأمسية نادي
الصحفيين . هي إحدى أهم الأحداث الكبيرة للموسم الأدبي في موسكو في
ربيع ١٩٦٧ .

تلقى أحمولينا حممها المتفجرة أو براكينها من الذاكرة . عيناها الآن .
مغمضتان على الأغلب مشددة على قوافي وإيقاعات شعرها .
صوتها رنحيم مؤنس . تبدو على وشك الذوبان في الدموع كما لو أنها تتخاطب
(بومي) .

تنشر بعض أشعارها في مجلة (نوفي مير : العالم الجديد) ومجلة (يونست :
التياب) .

نماذج من شعرها

حلم

الرعد يخترق بيتنا
عاصفة ثلجية تدور حولنا ، حريق ،
دوارة عواء
عويل ، حريق ،
يعزف ألحانا على البيانو
جارحا رأسي
أواه ، ياشقيقتي ، ناوليني بعض الثلج . منتصف الليل
ضرب أطنابه ، غنى أغنيته
أواه لأهدىء الفجوة المظلمة في رأسي

الماء لاذع مع الثلج
رأسى يشتعل مثل آخر جسر
يعزلى ، جزيرة يتيمة
شقيقتى ، بعض الثلج ، لإنقاذى !
بعض الثلج الأبيض
رأسى الواهن ماكنة ضخمة
يتعاقب عليها البشر والمدن
كيف السبيل للخروج من هذه الدوامة ؟
ناولينى بعض الثلج ، الأبيض ، الثلج الأبيض
أشتعل فى أتون مثل أية جان دارك
كلاب عاوية ، حشود صافرة - أنا لا أزال صبية -
ثلج قطبي ، ارحمىنى
يقال بعدئذ
إن حنجرتها كانت أصغر
من أن تتسع لمثل هذه الصرخة الكبيرة

خمسة عشر شابا

خمسة عشر شابًا ، ربما أكثر

ربما أقل

بأصوات متوجسة

حاولوا معي :

« لنذهب إلى السينما أو إلى متحف الفنون الجميلة »

جوابي ، أكثر أو أقل :

« في الحقيقة ، ليس لدى وقت »

خمسة عشر شابًا ، قدموا لي أزهار الثلج البيضاء .

خمسة عشر شابًا بأصوات مسحوقة

أكدوا لى

لن نكف عن حبك «

جوابى ، أكثر أو أقل :

« سنرى »

خمسة عشر شابًا يعيشون الآن فى سلام

لقد نفذوا المهام الجسيمة

لأزهارهم الثلجية البيضاء ورسائلهم وقنوطهم

فتيات يحبونهم ... الآن

بعضهن أكثر جمالاً

أخريات أقل ، منى جمالاً ، أنا

خمسة عشر شابًا بافتعال

وأحياناً بإعجاب

يحيوننى عندما يمرون

عندما يمرون بى ، يحيون

محررتهم من طقوس النوم والطعام المملة

أنت الشاب الأخير القادم بتواضع
سأضع أزهارك الثلجية البيضاء في قديم ماء
وبسيقانها المكتنزة
في فقاعات الفضة ، ستقف .
لكنك ، ستكف عن حيي أيضاً - سترى
وعن كوني سيدتك ،
ستخاطبني بكبرياء
كما لو كنت قد استعبدتني
عند منحدر الشارع وأنا أمضي

اندريه فوزينسكى

صوت السنوات الضوئية

ولد أندريه فوزيسنسكى فى موسكو عام ١٩٣٣ ولكنه قضى معظم طفولته فى (الأورال) فى المدينة القديمة (فلاديمير) ثم عاد إلى موسكو بعد الحرب الكونية الثانية . والده بروفيسور فى الهندسة . وهب نصف قلبه إلى الفن والأدب والثقافة - وقد درس شاعرنا أندريه فى موسكو الرسم أولاً . ثم الهندسة المعمارية . ولكنه كان . كما يتحدث هو عن نفسه (ولكن طوال الوقت . كان الشعر ينبض فى داخلى مثل نهر تحت الجليد) .

وقبيل نخرجه في معهد الهندسة رأى كأن حريقاً قد شب في ذلك المعهد فأقى
على كل شئ . مدمراً تصاميم الأبنية والمدن . وقد رأى الشاعر في رؤياه لذلك
الحريق نبوءة . فترك الهندسة المعمارية إلى الشعر :

حريق في معهد الهندسة المعمارية

خلال جميع الغرف وفوق

التصاميم الهندسية

مثل عفو عام في السجون

حريق ! حريق !

ويعتبر أندريه فوزينسنسكى الآن من أشهر ممثلى شعر الخمسينيات ، إن لم
يكن الشاعر الأول . وقد ولد وعاش في أخطر مرحلة من مراحل تاريخ وطنه .

وهي مرحلة بناء أول وأكبر دولة اشتراكية في العالم ، كما كان وريثاً لأخطر وأنفجج تراث شعري وروائي في تاريخ الأدب العالمي الثوري ، هذا التراث الذي شيد صرحه الأول الشاعر العظيم بوشكين ونكراسوف وليرمتوف ثم أعقبته الموجة الذهبية التي وهبت العالم أمثال ، سيرجي يستين وفلاديمير ماياكوفسكى وبوريس باسترنك وأنا اختاتوفا وألكسندر بلوك ، إلى جانب الروائيين العظام : غوغول وتورجنيف وتولستوى وديستوفسكى وتشيفخوف وغوركى .

ويرى فوزينسنسكى في باسترنك أستاذاً له ، وأعماله الأولى تحمل بعض تأثيراته .

ولكن الجرم الصغير الطالع ، لم يلبث أن انفصل عن الكوكب الذي كان يدور في فلكه ، واختط له مداراً جديداً . لكى يصبح هو بدوره (صئاعاً للكلمات) ولكى يثبت بأن (الفن الأصليل هو فن ثورى دائماً) و (لنينا نحن جميعاً ، ظمأ إلى الشعور بالانحداد الرمزي الذي يحدثه الشعر) .

وإذا كان ألكسندر بلوك ، قد قال في خطاب له ، ألقاه قبل موته في الاحتفال بذكرى بوشكين في ٧ آدب ١٩٢١ (من هو الشاعر ؟ هل هو الذي يكتب الشعر ؟ بالتأكيد كلاً . إنه لا يسمى شاعراً ، لأنه يكتب الشعر . مع ذلك ، فهو يكتب الشعر ، ليضبط إيقاع الكلمات والأصوات ، لأنه - أى الشاعر - ابن الإيقاع ، وما الإيقاع ؟ أنه تناغم القوى الكونية ونداء الحياة الكلى) فإن أندريه فوزينسنسكى كما قال في قصيدته (مصاييح فلورنسة) :

مفتاح الحارس يفتح الدياميس الغامضة

وأنه قد أثبت ، بما لا يقبل الجدل ، بأنه ليس ابن الإيقاع فقط ، بل كما كتب يصف جوجان Gauguin : لكى يصل إلى قاعات « اللوفر » الملكية من « مونمارتر » كان عليه أن يقوم برحلة عبر « جاوة » و « سومطرة » .
 وإذا كانت السنوات الضوئية لا تكفى كلها ، لكى توقف نزيف الشعراء ، فإن لوركا وليرمنتوف وبوشكين وغيرهم يظلون الشهادة على أن نداء الحياة الكلى ، ليس شمعة تلتب في مهب الريح أو أحياناً لا تزال تنظر نهاياتها :

أحب لوركا

أحب اسمه ...

كان الفرنكويون قد قتلوه في ١٨ أغسطس ١٩٣٦ .

القتلة يحاولون تفسير ذلك ، كما لو كان صدفة .

آه يا للمصادفات !

بوشكين - سوء تفاهم ؟

ليرمنتوف - صدفة ؟

وقد حمل أندريه معه النار الذهبية والبذور والأزهار والقواقع وحبات المطر . وهو يلقى أشعاره في ساحات ومتنزهات وقاعات الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا وأمريكا :

قلب « أخيل » ياقلبي

امنحنى السلام

وأثبت بما لا يقبل الجدل بسلوكه وشعره أن الفن (ليس ترفاً ، إنه أمنية
اللاموجود والوسيلة لتحقيق هذه الأمنية . الثورة شعر والإنسان الكامل
شاعر) .

وما بين قولة غوركى : « فى أى صف تقفون ؟ مع السادة أم مع
الثقافة ؟ » .

ومقولة بلينسكى : « إن العبقرى وحده هو الذى يستطيع أن يوجد دون أن
يتسمى لحزب . لأنه هو نفسه راية سرعان ما يتشكل تحت ظلها حزب » يرسم
الشعر علامة استفهام كبيرة : « على أرض أى كوكب سيهبط الشاعر الليلة ؟ »
فهو أول من يعلم وآخر من يعلم .

وأندرية يختلف عن يفجينى يفتوشنكو (الذى ولد فى عام ١٩٣٣ ايضاً)
بأنه مربوع القامة ، أكثر حيوة فى نظراته وملابسه ، وأكثر هدوءاً ودعة ،
تتحول بعض القصائد بين يديه إلى لوحات يغمرها الظل واللون والنور
والحركة :

فتاة بشعر يرتقلى براق

وذراعين يضاوين ...
أنت ملاك من عالم آخر
صورتك الجانية تشتعل مثل ضياء أبيض ...
أنت تعرفين أشياء السماء ،
أصوات السنوات الضوئية .
خلال السنوات الضوئية هذه دعينا نختفي

من قصيدة « إلى بيلا أحمدوليننا »

ينشر أندريه قصائده في مجلة (العلم والحياة) ومجلة (الشباب) وقد صدر
د من أشعاره في عام ١٩٧٥ . أما أشهر مؤلفاته الشعرية فهي : فسيفساء
١٩٠ . الكثرى المثلثة ١٩٦٢ . العوامل المضادة ١٩٦٤ . قلب أخيل
١٩٠ . ظل الصوت ١٩٧٠ . نظرة ١٩٧٢ .

قبل أن يرتفع صخب مهرجان الشعر العالمي في روتردام بيوم واحد ، كان
ريه فوزينسنسكى قد وصل وحده دون أن يرافقه أحد . وعندما دخل
لمق الذي نزلنا فيه ، جال بعينيه واتجه إلى ، وكنت آنذاك جالساً في
مالون أرتشف القهوة . تبادلنا التحية والسلام . وبعد خمس دقائق استأذن
، يذهب إلى غرفته لفترة وجيزة ثم يعود . ذهب ثم عاد بعد دقائق لكي
ل بنا الصبحة والحديث لمدة خمسة أيام متوالية .

· اقترح على أن نذهب إلى إحدى دور السينما التي كانت تعرض فيلم « أحدهم طار فوق عش الغراب - أو المجانين » و « عش المجانين » هو الفيلم الطويل الخامس لخرجه ميلوش فورمان .

وقبل أن يبدأ الفيلم بساعتين ، قنا بجولة استطلاعية في أغلب شوارع روتردام الرئيسية . سألني باهتمام شديد عن كثير من الشعراء العرب والأدباء والكتاب العرب ، وكأنه يعرفهم معرفة طويلة ، ويعرف الشيء الكثير عن مؤلفاته وإبداعاتهم الشعرية والأدبية ، وتناول الحديث بشكل خاص يوسف إدريس ومحمود درويش ، وأوضاع المثقفين في الوطن العربي عامة ، والعراق خاصة ، ثم انتقل الحديث إلى بعض الأمور الخاصة التي تتعلق بأعماله الشعرية وبأعماله . وبعض أصدقائنا ... المشتركين من الشعراء العرب والسوفييت والأوربيين .

وبعد أن خرجنا من السينما ذهبنا إلى نادى الفنانين . وانضممنا إلى مجموعة كبيرة من الشعراء الهولنديين والأوربيين وغرقنا معهم في أحاديث لا تنتهى . تناولت كل شيء يخطر على البال أو لا يخطر وانتهى اللقاء الأول عند الفجر . ثم أعقبه لقاء آخر وآخر ، وكان الرابع هو لقاءنا مع جريجورى كورسو ، وبين هذا وذاك ، تركنى مرة في المقهى الملحق بقاعة مهرجان الشعر الكبرى ، وفي غيابه تقدمت إلى فتاة لم تبلغ العشرين من عمرها بزي ساحرات القرود التاسع عشر ، وتركت ورقة مطوية بين يدي ، واختفت . فتحت الورقة بيد

مرتجفة ، وقرأت في أعلاها (إلى البياق وإلى مرآة شعره الساحرة) وفي وسطها
قرأت القصيدة الصغيرة التالية « وكانت مكتوبة بالانكليزية وبخط جميل » :

الماء

يتساقط قطرات على اليد

.

والرؤيا في الماء

والسر الإلهي في الباطن

.

مرآة نرسيس تتحطم

لم يبقَ هناك شيء

في قاع البحر

الذي يضيئ فيه كل شيء

وكانت القصيدة موقعة بلامضاء (دورين) . بعد دقائق عاد أندريه
فوزنيسنسكى مصحوباً ببعض الأصدقاء . فاستنجدت به وبهم . لكي
يساعدوني في العثور على الشاعرة صاحبة القصيدة . لأقدم إليها شكرى
وأتمجذب معها أطراف الحديث . فلم يروا من طريقة للعثور عليها إلا بمناداتها

عن طريق الميكروفون ، وقد نودى عليها فعلاً مراراً وتكراراً بدون جدوى .
لأنها كانت قد أمعنت في الاختفاء ولم تظهر حتى لحظات مغادرتي روتردام .

* * *

عندما جاء دور أندريه في الإلقاء حدث شيء غير عادي . كان الجمهور
أكثر من المعتاد (هذا مع العلم بأن عدد الذين كانوا يحضرون يومياً كان يزيد عن
الألف . وكانت عدسات التليفزيون مصوبة إلى عيون الشاعر ويديه وفمه ،
وظلت مصوبة إليه ، طوال الثلاثين دقيقة . وعندما انتهى من الإلقاء .
أغمضت العدسات عيونها ، وانفجر الجمهور بالهتاف والتصفيق . وكان أندريه
قد قرأ بعض قصائده باللغة الروسية فقط ، ورفض أن تلقى بلغة ثانية ، لأنه .
يعتقد ، كما قال للجمهور . بأنها ستفقد الشيء الكثير في ترجمتها إلى اللغة
الأخرى . أما بعض قصائده فقد ألقيت بالهولندية والانكليزية .

كانت طريقته في الإلقاء تعتمد على أسلوب المدرسة الروسية الكلاسيكية -
الجديدة ، التي تضرب جذورها في التراث المسرحي الدرامي ، وتحاول أن تنقل
إلى المتلقي ، ليس مضمون القصيدة وحده ، بل شكل الحروف والكلمات
والأوزان والقوافي والإيقاع الداخلي ، والشكل العام للقصيدة كلها ، وهي
طريقة قريبة إلى قلوب جمهور القاعات الذي يمثل ألواناً مختلفة المشارب
والأذواق والثقافات .

وإذا كانت هذه الطريقة ليست هي المثل في فن إلقاء الشعر ، فإن الجدير
بشعرائنا العرب ، هو أن يتعلموا منها الشيء الكثير... ويكفوا عن الطريقة
العشوائية المضللة التي يلقون بها شعرهم ، حيث يفسرونه بالحركات والإشارات
باليد والأصوات عالية النبرة أو الخافتة ، التي لا تنسجم مع كلمات وأصوات
وإيقاع ومضمون كل قصيدة على حدة ، فليس بالصوت الجهورى والحركات
العشوائية وحدها يلقي الشعر .

ومن قصيدة أندريه التى ألقاها بالروسية بدون ترجمة هي قصيدة (جويا)
التي يقول فيها :

أنا جويا

أنا جوع

أنا عنق

أمرأة مشنوقة تتأرجح جثتها

كالناقوس في الميدان العريان

أنا عناقيد الغضب

* * *

بعد أن انفض السامر وطوى حديث الشعر . اتفقتا أن نلتقى في اليوم الثاني

لكى يودع بعضنا الآخر ، وكان أندريه قد أخبرنى من قبل ، أنه يتعين عليه العودة إلى موسكو خلال يومين . لأن مؤتمر الكتاب السوفيت سينعقد يوم الخامس والعشرين من حزيران ١٩٧٦ وأنه قد أعد بحثًا لى يلقيه فى المؤتمر . وفى اليوم الثانى وقبل الموعد المنتظر ، سمعت طرقًا على باب غرفتى . وعندما فتحتها ، انحنى لى مدير الفندق بأدب جم ، وسلمنى مغلفًا كبيرًا ، وأخبرنى بأن صديقى الروسى (هكذا قالها) قد رحل مغادرًا روتردام ، عندما كنت خارج الفندق ، وأنه كان فى عجلة من الأمر ، عندما فتحت الملف وجدت مجلد أشعاره الذى كان قد صدر فى عام ١٩٧٥ باللغة الروسية ، مع كلمة إهداء رقيقة . شعرت بحزن شديد . فها هو ذا أندريه قد رحل ، وكان قبله قد رحل أيضًا جريجورى كورسو ، وسأترك أنا ، هنا ، الآخرين ، وأرحل ، وتذكرت تلك الأبيات التى وضعتها الشاعرة الكبيرة أنا أنخاتوفا فى مطلع قصيدة لها . كانت قد كتبها . قبل اندلاع ، ثورة أكتوبر ، بخمس سنوات بعنوان (١٩١٣) :

فى بطرسبورج سنلتقى ثانية

كما لو كنا قد دفنا الشمس هناك

.

تلك كانت السنة الأخيرة

عزت سراپلیتش

سندیانه علی نهو درینا

العالم كله وطنى
ومناى عندما أموت
أن أكون حيث توجد قباب النور الإلهية .

- ١ -

زرت يوغسلافيا ثلاث مرات ، كانت زيارتى الأولى لها عام ١٩٧١ أيام كنت مقيماً في القاهرة - لحضور مهرجان الربيع الشعرى الذى نظمه اتحاد الكتّاب اليوغسلاف في سرايفو عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك ، وهى إحدى جمهوريات يوغسلافيا الست . وزيارتى الثانية لها كانت في عام ١٩٧٣ لحضور المهرجان السنوى الدولى الذى يعقده اتحاد الكتّاب المركزى ، كل عام من ١٨ تشرين أول إلى ٢٢ منه . بمناسبة تحرير يوغراد العاصمة من الاحتلال الألمانى ، ويدعى إلى هذا المهرجان عادة ، بعض الشعراء والكتّاب من مختلف بلدان العالم ، وقد دعى معى إلى هذا المهرجان من الوطن العربى في تلك السنة الأستاذ توفيق الحكيم ، ولكنه لم يستطع الحضور لنشوب حرب أكتوبر . أما زيارتى الثالثة ، فقد كانت عام ١٩٧٥ لحضور المهرجان الشعرى الذى عقد في مدينة سرايفو مرة أخرى . وقد دعى معى في هذه المرة الشاعر محمود

درويش وقد سافرنا معاً في نفس الطائرة من بيروت إلى يوغراد . وكانت الحرب الأهلية في لبنان ، وفي بيروت بالذات قد اندلعت ، ولهذا فقد وجدنا صعوبة كبيرة في اختراق الحواجز المقامة على الطرقات للوصول إلى مطار بيروت .

وسرايفو التي زرتها في عام ١٩٧١ وحدي ، وزرتها للمرة الثانية عام ١٩٧٥ (أنا ومحمود درويش) من أشهر مدن أوروبا . فلها كانت شرارة الحرب العالمية الأولى ، قد اندلعت . عندما اغتيل في أحد شوارعها أرشدوق النمسا . كما أن حركة المقاومة اليوغسلافية ضد الاحتلال الألماني ، بقيادة المارشال تيتو ، كانت قد بدأت من الجبال المحيطة والقرية منها كما أنها تعتبر أجمل مدينة إسلامية تقع في أعلى البلقان ، حيث يطلق عليها (المدينة ذات المائة مثدنة) . ولعل فن المعمار الإسلامي الذي بنيت على طرازه هذه المدينة الجميلة ، هو من أشد المناظر إثارة لنفس الزائر العربي والأوروبي .

عندما حطت الطائرة على أرض مطار سرايفو - لدى زيارتي الأولى ، ثم اقتربت من مبناه ، لاح لي من بين الوجوه التي أعرفها ، وجه صديقي الدكتور سليمان جروزدانتش مدير معهد الاستشراق في المدينة وأستاذ الأدب العربي في كلية الفلسفة . كما لاح لي وجوه أخرى ، لا أعرفها .

وقبل أن أتقدم من ضابط الجوازات ، اقترب مني ما يقارب العشرة أشخاص ، وهجموا على ، معانقين ومصافحين ومرحبين ، فسقطت الحقيبة اليدوية الصغيرة التي كنت أحملها وجواز سفري . انحنى أحدهم ورفع الحقيبة

والتقط جواز السفر وهو يقول : « أرحب بك باسمي وباسم رفاقي في اتحاد الكتاب » وكان المتحدث هو الشاعر اليوغسلافي الكبير عزت سرايليتش . ثم تابع ونحن ندلف إلى مقهى المطار ، مشيرًا إلى بعض الجالسين : « انظر ، لقد حضر هؤلاء الشعراء الضيوف قبلك بساعة ، ولكني احتجزتهم ، هنا في المقهى ، لكي يكونوا في استقبالك أيضًا » : ثم ضحكنا جميعًا ، ونحن نتصافح ونتجه إلى السيارات التي كانت في انتظارنا ، جلسنا - أنا وعزت وسليمان في سيارة واحدة ، انطلقت بنا ، بسرعة البرق إلى فندق المدينة ، في شوارع باكرها الربيع ، فطفت بالجليد الذائب والوحل . وهناك كان ينتظرنا بعض المرافقين من الأدباء والشعراء الشباب الذين لم يستطيعوا الحجز إلى المطار ، لعدم وجود سيارات كافية ، تحدث عزت معهم ، ثم قال « ها قد جاء الآخرون » .

بعد فترة وجيزة اكتشفت أن حقيبة ملابسي قد ضاعت ، مما سبب لي قلقًا ، لأنني كنت قد وضعت فيها كل ما أحتاجه أثناء رحلتي الطويلة .

عندما اجتمعنا بعد نصف ساعة على العشاء ، كان عزت سرايليتش يتحدث أحد المرافقين بضرورة الاتصال بمطار سرايفو ويوغراد للبحث عن الحقيبة الضائعة ، وإذا بأحد الشعراء يقول : « لا بد أن الحقيبة المفقودة قد ذهبت إلى وارشو » ضحك عزت ، وهو يقول للشاعر : « يتضح لي أيها الصديق ، أنك تكتب أشعارك بنفس طريقة استنتاجاتك الخاطئة هذه » لدينا بالصمت لقسوة

الملاحظة ولاذ الشاعر هو أيضًا بصمته ، وانزوى بعيدًا عنا .

كنت أرى (عزت) يستقبل بترحاب في كل مكان ، فهو في تلك الأثناء .
كان نائب رئيس اتحاد الكتاب ، كما أن شهرته التي طبقت آفاق يوغسلافيا
وبلدان المعسكر الاشتراكي وأوربا ، جعلت منه محط أنظار الجميع : المحبين
والحاسدين . كان يداعب الأطفال والشيوخ ويسخر من المتشاعرين والحاسدين
والنظامين في وجوههم وكانت فرائص هؤلاء ترتعد عندما يرونه ، فيلوذون
بالصمت أو يطلقون سيقانهم للريح . صديق للجميع . كل الشعراء المبدعين
والنقاد يتفقون على أنه من أهم وأكبر شعراء يوغسلافيا المعاصرين .

امتدت صداقتي الحميمة له ، طوال أيام مهرجان الربيع الشعري . وكان
يصر على أن أتقدمه في كل مناسبة .

قال مرة : « إن الشعراء هم الوحيدون في هذا العالم . الذين لا يستطيع
فاتح أن يخذلهم الشعريّة » . « يموت الدكتاتور والمهرج والقاتل والفاتح .
ويبقى الشاعر » . « كما أن السياط والسيوف والطعنات ، لا تستطيع أن تجلد أو
تغتال مجد الشاعر . لأن مجد الشاعر يسكن في الكلمات . ومن الذي يستطيع
اغتيال مجد الكلمات ؟ » كما قال لي مرة ، محذرًا من : « برد الليل وأضواء
الشهرة والعدو الذي يتسلل في ثياب صديق ، فقد يندس ، أحد هؤلاء إلى
قلب الشاعر ، ويقطع وتر المغني . بل قد يسرقه ، وهو لا يدري » وفي الأسمية
الشعرية الرابعة لهذا المهرجان التي أقيمت في مدينة (توزلا) وهي مدينة صناعية

معظم سكانها من العمال . قدمنى عزت سرايلىتش إلى الجمهور بمقدمة طويلة .
تحدث فيها بحب عميق عن الشعب العربى وحضارته العريقة العظيمة التى
علمت أوروبا . عندما كانت هذه . تغط فى سباتها . ووهبت العالم الشعراء
والفنانين والفلاسفة والعلماء الأفذاذ ، وأشار إلى المآذن والقباب التى كانت
شاخصة من وراء نوافذ القاعة . الغارقة فى المطر والمشرتبة إلى السماء .

وبعد أن انتهى من كلمته ، تقدمت إلى المنصة ، ثم بدأت بإلقاء قصائدى
بالعربية أولاً ، ثم ألقاها بعدى أحد الشعراء اليوغسلاف بلغتهم مترجمة . وما أن
انتهيت حتى ضجت القاعة بالتصفيق ، واغرورقت عيون الجمهور بالدموع ،
وظلوا وقوفاً لمدة عشر دقائق ، وهم يهتفون بحياة الشعب العربى وبفضاله العادل
ضد الاستعمار والصهيونية .

همس عزت فى أذنى قد صرعت (مليح جودت انداى) بالضرورة
القاضية فما الذى سيقدمه للجمهور ؟ وما الذى سيقدمه الجمهور إليه ؟ بعد هذا
الاستقبال الحافل لى . وكان دوره فى الإلقاء بعدى مباشرة (ومليح جودت
أنداى من أكبر شعراء تركيا المعاصرين) .

ابتسم مليح جودت لى ولعزت ، وقال : « أنا أعرف بأنكما قد تأمرتما على .
ولكنى أخبىء لكما مفاجأة أيضاً ، وستريان » !

نهض مليح جودت متجهاً إلى المنصة بهدوء . وعندما واجه الجمهور قال :

« إن البياقي ، أيها الأصدقاء . كان شاعر هذه الأمسية بحق . كما أنه لم يبق لي شيئاً أقوله ، لذلك ، سأغني لكم أغنية تحبونها ، أنتم جميعاً . وسأكتفي بذلك » ثم طفق يغني أغنية حب تركية كانت شائعة في البلقان قبل مائة عام . وما أن انتهى من غناء البيت الأول من الأغنية حتى شعرت كأن حريقاً قد شب في قلبي وفي القاعة (بالرغم من أنني لم أفهم كلمات الأغنية أو مضمونها) .

فصوت مليح جودت العميق القادم من أعماق ليل البلقان الحزين ، الذي هبط في تلك الساعات ، كان أشبه بصرخة مسكونة بالريح والمطر والعذاب ووميض البرق والسحر والموت والأسطورة . أو كان أشبه بصوت ولي غريق في فيض النور . يستنجد ويستغيث . ولا من مغيث . وما أن انتهى مليح جودت (الولي والشاعر والمغني) من غنائه حتى أضيئت القاعة أو المدينة بأكملها (هكذا أحسست) بوميض برق الربيع القادم من الجبال . وبقصف رعوده . لقد تفتتح جرح عميق في جدار الليل . وسال منه الدم . ولم أجد نفسي إلا وأنا أستنجد بالحضرة الإنسانية في هذا الفيض الشعري .

قال عزت : « الحمد لله . إنها ليلة مباركة . انتصر فيها الشعراء على الليل » :

هذه الليلة سنحب من أجلهم
كانوا ثمانية وعشرين . كانوا خمسة آلاف وثمانية وعشرين

كانوا أكثر مما يكون الحب في أية قصيدة .
نحن الذين على أرصفة القرون آلمتنا عزلة جميع
روبنسونات العالم
نحن الذين بقينا في صدر الدبابات
ولم نقتل أحداً
صغيرتي الكبيرة ، هذه الليلة ، سنحب من أجلهم .

- ٢ -

« إن الادب في تعريفه الخاص ليس مرتبطاً بأدواته . وإنما يلتمس من هذه
الأدوات الوسائل المساعدة على البيان » . « فالشعر ليس هو الكلام الموزون
المقفى . وإنما الوزن والقافية هما من أدوات الشاعر » .

« إن الشوق داخل روح الإنسان لا حدود له . أما ذلك العالم الذى نعيش
فيه فله حدوده . والإنسان عندما تتصارع في داخله الروح المفعمة باللانهاية مع
واقع الوجود القاسى يبدأ في المعاناة . ولما لم يعد ممكناً الإغارة الجماعية .
فليحاول الشاعر أن يتلذذ طعم اجتياز الأفق وحده (فلتتخط نهرًا بعد البحر .
ولتكن الشمس علمنا والسماء خيمتنا) (الخروج إلى الغربة وقت المعاناة -

الامتلاء بالغربة في هذا العالم : الفتيان السبعة الذين عشقوا ، يخرج كل منهم
ليلاً من باب المدينة . ليبحثوا عن المحبوبة التي رآها كل منهم في نومه) .
وعندما يلتبس الشعر من أدواته الوسائل المساعدة على البيان . ولا يرتبط
بها فقط يصبح أكبر من المعرفة ودونها . أو كما يقول (منويل ماشادور) :

المتاعب والزمن

لَقُنَانِي مَا أَعْرِفُ

كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي قَطَفْتُ

البرتقالة والزهرة

فوجدتني قنعت

بعود الحطب

هل أحبيتك ؟ لا أدري

هل عشقتني ؟ لا أعرف

فلنمح الماضي إذن ، ولنبدأ من جديد

أنا مع أخرى وأنت مع آخر

- ٣ -

توقفت في رحلتي الثانية أثناء حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ في يوغراد العاصمة فقط . لأن الدعوة كانت موجهة من اتحاد الكتاب اليوغسلاف المركزي . فاكثفيت بالانصال التلفوفى بالشاعر عزت سرايليتش .

أما في رحلتي الثالثة التى صحبني فيها الشاعر محمود درويش عام ١٩٧٥ فقد بدأت في الصباح الباكر . وكان الخطف والاغتيال في بيروت قائماً على قدم وساق . وقد شققت طريقى إلى مطار بيروت بمفردى وهناك التقيت بمحمود درويش . حيث كان لرحلتي المشتركة معه أثر عميق في فهمه شاعراً وإنساناً . ذلك الفهم الذى قادنى إلى حبه والإعجاب بشخصيته .

عندما هبطت الطائرة بنا في مطار يوغراد . كان علينا أن ننتظر عشر ساعات لكي نستقل الطائرة الأخرى الذاهبة إلى سرايفو .

جلسنا في صالة المطار فترة قصيرة حائرين . ثم وفي نفس الوقت . قال كل منا وبصوت واحد : « لم لا نقوم بزيارة صديقنا المشترك الدكتور مراد غالب سفير جمهورية مصر العربية في يوغراد . وفي الطريق والتاكسى ينهب بنا الأرض . فكرنا : ماذا لو كان الدكتور مراد غالب غائباً أو في إجازة ؟ ماذا لو ... ؟ . وقف بنا التاكسى أمام مبنى السفارة . فهرع إلينا أحد موظفيها . قلنا له : هل الدكتور غالب موجود ؟ أجاب : نعم . تفضلوا . وبعد لحظات كان

الدكتور غالب معنا . تناولنا الغذاء معه ومع شيخ الأزهر الذى كان يز
يوغسلافيا فى تلك الأثناء بدعوة من حكومتها . ومع مدير الأوقاف فى العراق
وبعض رجال الدين المسلمين اليوغسلاف ، كان من بينهم مفتى المسلمين وإ
مسجد بيوغراد (الذى تخرج فى جامعة الأزهر بالقاهرة . وكانت رس
الجامعية بعنوان - الالتزام القومى والإنسانى فى شعر عبد الوهاب البياتى ومحم
درويش -) وكانت مصادفة غريبة ، كما كان هناك . أيضًا ، الدكتور أنور .
الملك الذى كان فى زيارة خاطفة .

وفى المساء صحبتنا السفير الصديق بنفسه إلى المطار ، وجلس معنا فى المة
لمدة ساعة تقريبًا . ثم ودعنا .

رأيت فى مطار سرايفو نفس الوجوه ، التى كانت قد استقبلتنى . قبل أ.
سنوات . ولكن وجه عزت سرايليتش ، كان غائبًا من بينها . همس فى أ
الشاعر أحمد محمد أماموفيتش (وهو من ألمع شعراء يوغسلافيا الشباب .
عام ١٩٤٤) بأن عزت ينتظرنى الآن فى بيته ، لأن صحته متوقعة .

بعد وصولى إلى الفندق تركت صديق الشاعر محمود درويش لكى يخلد
الراحة . بعد عناء الرحلة ، ثم مضيت إلى بيت عزت ، استقبلنى بالأحض
عند الباب الخارجى ، كانت الشعرات البيض قد غزت شعره كليًا (ولد الش
عام ١٩٣٠ ولكنه يبدو أكبر من عمره الحقيقى بعشر سنوات) . ضحك ق
« ها قد عدنا والتقىنا يا صديق » فى تلك الليلة شرب كثيرًا ، ولكنه

صاحيًا . يقطًا . غنى لنا أغنية كان الأنصار يغنونها أثناء الاحتلال الألماني ليوغسلافيا في الحرب العالمية الثانية . ثم قرأ علينا بعض قصائده الجديدة . كان فرحًا كالأطفال ، يداعب هذا ويشرب نخب ذاك . وفي نهاية الليل ومن الكهوف السحرية التي كان يختبئ فيها القراصنة والصعاليك والسكراري والشعراء والمتوحدون . كنا نسمع صوت ناي ونخب امرأة كانت تصلي عند أقدام قمر مصلوب على الجدار . صوت امرأة تختبئ في محارة على شاطئ بحر لا قرار له أو ساحل . أما الشاعر فقد كان يكشف صدره لسيف البرق ، ولنسره المعجوز لكي ينهش كبده .

قال : « متى يبرز الفجر؟ » ثم صاحت الديكة ، واستيقظ العالم من جديد .

ذهبت في اليوم الثاني لزيارته في دار النشر الكبرى للكتب الأدبية في سرايفو ، التي قد أصبح هو مديرها الجديد . استقبلني هناك حشد من السكرتيريين ، قادوني في ممرات طويلة ، ثم أدخلوني عليه . ابتم وقال : « انظر لقد أصبحت بيوقراطيًا » . قلت له : « ولكنك لا تصلح لهذه المهنة » أجاب : « لم لا ؟ أن البيوقراطيين يهتمون الشعراء بالكسل وعدم حب العمل والشعور بالمسؤولية وقد قبلت هذه الوظيفة تحديًا لهم ، ولكي أثبت لهم وللآخرين بأننا أفضل منهم في كل شيء » وقد شدد على الكلمتين الأخيرتين . وهو يتسم ساخرًا . ثم اعتدل ، وقال : « إن لك عندى هديتين » وتناولو

كتابين جديدين . كان أحدهما مجموعة شعرية جديدة لى . ترجمها إلى اللغة الصربية - الكرواتية الدكتور سليمان جروزدانتش بعنوان « رسالة حب إلى امرأة » . وهى ثاى مجموعة شعرية لى . تصدر فى يوغسلافيا . أما المجموعة الأولى فقد صدرت فى يوغراد عام ١٩٦٦ بعنوان « أشعار فى المنى » وكان قد ترجمها رادى بوزوفيتش أستاذ الأدب العربى فى جامعة يوغراد .

أما الكتاب الثانى الذى أهدها إلى عزت . فقد كان مجموعة شعرية جديدة له بعنوان (رسائل) وجميع قصائد هذه المجموعة مكتوبة على شكل رسائل شعرية موجهة إلى اثنين وثلاثين شاعرًا من شعراء يوغسلافيا والعالم . كنت أنا واحدًا منهم . وقد طلب من الدكتور سليمان جروزدانتش الذى كان حاضرًا . أن يترجم القصيدة الموجهة لى . إلى العربية . وهى بعنوان (إلى عبد الوهاب البياتى) :

الحياة أيها الصديق البياتى ، تحل كل شىء
وقصيلتى هذه ، ليست مجرد وزن وقافية
والمدن التى اضطهدتك ذات يوم
ستقيم لك تمثالاً .
متى يكون ذلك ؟ - وفى نهاية أى قرن
لست أدرى ، ولكنه سيكون حتمًا

فها أنذا أشعر كأننى قد تناولت مع ذلك العثمالي
فى زمن ما الطعام ، فى حى قديم من أحياء سراييفو

* * *

طوال أيام المهرجان الشعرى . لم يحضر عزت سراييتش أمسياته . سألت
البعض عن أسباب عدم حضوره من قبيل معرفة وجهة النظر الأخرى :
البعض . همس . بأنه يعيش قصة حب جديدة . البعض الآخر اصفر لونه
وارتعلت فرائضه . آخرون قالوا : إن المهرجان لم ينجح فى هذا العام . لأن
عزت لم يمنحه بركاته . لكن جميع هؤلاء لم يكونوا يعرفون بأن عزت سراييتش
قد عاد إلى مملكته الشعرية . ليشق القنوات . ويبنى الجسور ويحصن الأسوار .
ويبذر بذوراً جديدة فى حداثتها .

إنه الآن يكتب من جديد . نبوءة عرافة « دلفى » التى حذرت من الالتفات
إلى الوراء .

نماذج من شعره

- ١ -

أتتزه في مدينة شبابنا
وأبحث عن شارع لاسمى
الشوارع الصاخبة الكبيرة ، أتركها لعمالة التاريخ
عندما كان التاريخ يسير ، ماذا كنت أفعل أنا ؟
ببساطة - كنت أحبك .
أبحث عن شارع صغير : بسيط عادى
يمكننا بعيدين عن أعين الناس
نتتزه فيه ، حتى بعد الموت
س ضروريًا في البداية أن يكون عامرًا بكثير من الخضرة أو حتى
لطيور

المهم أن يتمكن الإنسان والكلب الهاربان من المطاردة
من اللجوء إليه
ومن المستحسن أن يكون مُعَبَّدًا
ولكن ، أخيرًا ، وهذا أيضًا ، ليس الأهم
الأهم هو أن لا يُصاب أحد بكارثة
في شارع يحمل اسمي

- ٢ -

اكتب على العنوان الأخضر للصيف
لتكن القبلات التي تبعثها لى آخر أنباء المساء
إن رأسى مملوء بمقطوعات رائعة
ولا أحد يغفر لى أو لا يغفر
لقد كتبوا هذا الصباح شيئًا بمناسبة ديوانى الجديد
ادّعوا مرة أخرى ، أن هناك تأثيرات ، حكايات كاملة
التأثير الأكبر قد قامت به طالبة من قسم اللغة الألمانية

ولكنهم قد سكثوا عن ذلك ، إذ ، بالله ، من يهمه ذلك .
من يهمه أنك بالنسبة لى هونولولو ومدغشقر ومكسيكو
والتاريخ الذى اجتزته طويلاً وعرضاً وأنا أرتجف
إن اسمك لم يدخل أى قاموس
لست فى أية موسوعة ، ولا فى أى فهرس
لكك أنت لى كل شيء . كالיום الأول من السلام للجندى
سرير ودموع وزهور فى مزهرية
إن عيونك هى مطالعانى الوحيدة
فى هذا اليوم الذى يمر وينقضى

- ٣ -

لا تتعجلوا فى أن تصبحوا شعراء أيها الشبان
أبقوا أطول ما يمكن عند مرحلة ما قبل الشاعرية
لشاعر فى الحياة ليس كما هو فى الكتب
فالأشعار هى الهزائم

ربما تنتظركم الورود في النهاية
لكن الأشواك هي التي تدوم طويلاً
وعندما لا تتحملون أكثر،
فحينذاك ستولد الأغنية من تلقاء نفسها

- ٤ -

لو مت تلك الجمعة في باريس
فمن سيبحث برقية إلى البيت بأني قضيت نجي
إذ لا بد من التحقيق في البوليس ثلاثة أيام
بأني كنت أبداً أعيش
لو مت ذلك السبت في وارشو
لتأخرت آنسة بولندية جميلة عن الموعد
آنسة جميلة تعمل في الاستقبال
لو مت ذلك الأحد في ليننغراد

لكان ذلك أشد سوءا ، إذ لوجب على الليلة البيضاء
أن تظهر بشارة سوداء على كمها
وقولوا : كيف تكون ليلة بيضاء بشارة سوداء
على كمها .

لومت ذلك الثلاثاء في برلين
لصدر نبا أن كاتبًا يوغسلافيًا فاجأه الموت في برلين
ولكن يجب - وهذا ليس شعارًا كاذبًا - أن أموت
على صدر وطني
ألا ترون ، كم كان حسنا ، أنى لم أمت ، وأنى
مرة أخرى بينكم .
يمكنكم أن تصفروا استهجانًا ، يمكنكم أن تصفقوا
استحسانًا

ألا ترون ، كم كان حسنا ، أنى لم أمت ، وأنى
مرة أخرى بينكم .

- ٥ -

كلنا يسعل حالما تسعل « تمارا »
عندما تكون حرارة « تمارا » ٣٨ كلنا ترتفع حرارته
النهار أمام الباب ، ولكنه هو الآخر ، خائف
نوعًا ما وإلاّ فأين عصافيره ؟
إلى أين رحل الربيع فجأة ؟ إلى أية أرض سعيدة ؟
إذا استمر هكذا طويلاً ، فصير الصيف سيكون غامضاً .
حينما تطأطي « تمارا » رأسها ، كلنا لا يكاد رأسه يتأسك .
كلنا مرضى . وأغنيق عنها . أيضاً مريضة .

جریبوری کورسو
لیالی روتردام

لقد اختار القدر الإغريق جريجورى كورسو . لكى يتفصّل
عليه بصواعقه . فيحرقه ويحطمه . ويصنع من رماده شاعرًا
كبيرًا .

عندما فتح كورسو عينيه على مدينة نيويورك التى ولد فيها عام ١٩٣٦ من
أبوين إيطاليين . صرخ مذعورًا من الفخ الجهنمى الذى ولد فيه . ولكن
صرخاته ذهبت سدى . فلقد استلمته هذه المدينة - المبنى الكبير - التى تحكمها
عصابات المافيا وصيارفة اليهود ، وتشرد فيها . ودخل مستشفياتها . ورأى الدم
والجريمة والاضطهاد العنصرى والطبقى بعينه . وذاقه حتى الجنون . ودخل
السجن وهو فى عامه السابع عشر . وقضى ثلاث سنوات فيه .

وفى كل مساء من هذه السنوات الثلاث . كان يطل من وراء قضبان
سجنه . فيتأمل - المدينة الفاجرة - مدينة الحديد والأسمنت والحجارة - التى
لعنها رواد الفكر التقدمى الإنسانى ابتداءً بمجوركى و انتهاءً بلوركا . فكان يرى
نفسه فى أدغال مع الأطفال السود والبرتوريكيين وغيرهم من أطفال حثالة
المهاجرين الفقراء . ضائعًا جائعًا بلا هوية أو انتماء فكذب بعد أن خرج من

السجن عن الذين لا يملكون (وخرجت من السجن . أحب الإنسان . لأن جميع الناس الذين قابلتهم هناك . كانوا على كبرياء وحزاني وجميلين وضائعين) . وكان قد بدأ ينظم الشعر وهو في السجن . فأهدى ديوانه (فلولين) ١٩٥٨ (إلى ملائكة سجن كليبتون الذين أعطوني . وأنا في السابعة عشرة . من جميع الزنانات المحيطة بي . كتب إشراق) .

قرأ والت ویتان وعزرا باوند بإعجاب . ولكنه كان على موعد مع القدر . عندما قادته قدماء ذات مساء . دون أن يدري . إلى بار في عام ١٩٥٠ فالتقى هناك بألن غنتر برج . وعندما التقت عيناهما . ابتسم كل منهما للآخر . فقد عثر الشيطان على مريده . أو المريد على شيطانه - كما يقول المثل الشعبي .

كان ألن غنتر برج في تلك السنة بالذات قد توج ملكا للمغلوبين . وسطح نجمه . وأصبح معبود الحزاني والضائعين والباحثين عن مملكة الله والإنسان في جحيم المدن الأمريكية الفاقدة الذاكرة . المحاطة بأسلاك الخوف الشائكة . والمحاصرة بالطاعون الذرى والهيدروجيني وعيون المخابرات .

ولم يلبث جريجورى كورسو أن خرج من معطف ألن غنتر برج الشعرى . وألقى به . أى بالمعطف . إلى كلاب الشارع . وسار عارياً . لا يلوى على شيء . وإذا كانت قصيدة ألن غنتر برج (نباح) ١٩٥٦ قد اعتبرت أعظم مرثاة في الأدب الأمريكى . أو أنها « أهم قصيدة طويلة نشرت في أمريكا منذ الحرب الثانية » أو أنها « بالنسبة للجيل الجديد ما كانته - الأرض الخراب -

للجيل الأسبق » وإذا كان مؤلفها قد تعرض للمحاكمة قبل نشرها . وإذا كان
غتر برج قد كتب في قصيدته (الغريب المكفّن) يقول :

لحمى حجر وجهى ثلج
أتمشى على سكة الحديد جيئة وذهاباً
عندما تكون شوارع المدينة سوداء مينة
جسر سكة الحديد فراشى .

فإن جريمحورى كورسو . كان قد رمى القفاز في وجه معبوده ومعلمه . دون
أن يتخلى عن ولائه وحبه له . وقرر أن يشق طريقاً جديداً لنفسه . ليس تابعاً
لأحد إلاّ لقدره الشعرى وموته الخاص .

ولم يلبث أن تزوج بفرنسية أحبها . كانت تقيم في الولايات المتحدة ، فرحل
معه إلى باريس وأنجب منها طفلاً .

- ٢ -

أثناء مهرجان الشعر العالمى السابع الذى انعقد في روتردام ما بين ١٤ - ١٩
حزيران ١٩٧٦ . كنت أنا وصديق الشاعر السوفيتى أندريه فوزنيسنسكى .
ورئيس تحرير مجلة فنية كبيرة تصدر في كوينهاجن (لا أذكر اسم هذا الصديق

الآن) تتجاذب أطراف الحديث في نادى الفنانين . اقتحم النادى رجل ، عليه مهابة وجلال وكبرياء الهنود الحمر ، منفوش الشعر ، بلا ربطة عنق (وقد اعترف فيما بعد أنه لم يمشط أو يصرح شعره أو يضع ربطة عنق طوال حياته ، إلا مرة واحدة . وذلك عندما ذهب . ليخطب زوجته الحالية من والديها) .
عندما اقترب منا صافح الشاعر أندريه فوزينسنسكى وعانقه . فقد سبق لها . أن التقيا وتعارفا . وأعجب كل منهما بالآخر . ثم صاح : « أين البياتي ؟ » .

قال أندريه بمودة : « التفت إلى اليسار قليلاً . ياكورسو ، فأنت تنظر إلى الأمام دائماً » .

ثم التفت بسرعة . فالتفت نظراتنا . فقال موجهاً الكلام إلى : « أنت . كما وصفك لى أصدقاؤك وأصدقاؤى العرب والفرنسيون والأجانب في باريس . لاتزال عيونك . تشي . بأنك تنتظر الذى يأتى ولا يأتى . لقد جئت إلى روتردام لكى ألقى شعري . ولكى أرى صديق أندريه . وألتقى بك . فما سمعته عنك . آثار فضولى » .

ثم جلس . وقال : « اسمحوا لى أن أشرب وأأكل وأدخن على حسابكم . فليس معى نقود » .

وقبل أن يسمع إجابتنا . طلب طعاماً وشراباً . وقال : « أما بالنسبة

للسجائر . فلسوف أستولى على هذه اللعبة » ثم وضع يده على علبة سجائر .
كانت على الطاولة .

قال له أندريه : « لقد نشر الملحق الأدبي لجريدة - الازفستيا - قبل شهرين
نعياً لك ، ومقالة طويلة عن حياتك ومؤلفاتك . وعن ظروف موتك
الغامض » .

ابتسم قائلاً : « إنها فرصة نادرة لكى يتذكرنى فيها أصدقاى وقرائى فى موسكو »
ثم قلنا له مازحين : « عندما تموت فى المرة القادمة ، فالرجاء أن تبرق لنا ، لكى
نأتى لتوديعك » ضحكنا وضحك معنا .

ثم تشبعت أحاديثنا وطالت ، كما طال الليل . وعندما بزغ الفجر . كنا نجر
أقدامنا إلى الفندق الذى نقيم فيه .

- ٣ -

بعد أربع ساعات رن جرس التليفون فى غرفتى . وكان المتكلم هو جريجورى
كورسو من جديد . قال مداعباً : « تعال بسرعة ، فلقد استلمت من مؤسسة
روتردام للفنون مكافأة قصائدى التى سألقياها فى المهرجان ، وإنيأ لفرصة أن
نذهب إلى البار لكى أسدد ما على من ديون » .

سرنا فى شوارع روتردام المبتلة غب المطر ، التى تكاد تغلو من المارة فى مثل

هذه الساعات من النهار . ودلفنا إلى بار يخفى بابه وراء ألف باب .
قال : « أنا مجنون بحضارة سومر وبابل وآشور . فحدثني عما لا أعرفه عنها » .

قلت : « أنت أنكيدو . لماذا تريد أن تعرف أكثر مما أعرفه أنا ؟ » .
قال محتجاً : « أنا كلكامش . لأن أنكيدو كان أحق . مات . بعد أن انتهت دورة حياته على الأرض » ثم ردد بصوت عالٍ : « فإذا أكلت خبز الحياة فإنى أقوم من الموت . وإذا رشيت على « ماء الحياة » عادت إلى الروح » ثم أردف : « هل (أور) لا تزال قائمة ؟ » قلت : « لقد سحقتها الزمان وتحولت إلى خرائب وأطلال بالية . يكفينا الرماد . وتعوى الذئاب تحت قبة ليها . الذى لا ينجلى » .

قال : « لا أصدق . وبودى أن أحج إليها ماشياً » .
قلت - لأغير الحديث - « هل تعرف شيئاً عن الحضارة العربية ؟ »
قال : « أنا أتبع موتى وأتبع عشتار فى جميع تحولاتها . فعشتار فى شعرك . كما أخبرنى . أحد أصدقائى العرب فى باريس ، قد أصبح اسمها (عائشة) فى تحولاتها الأخيرة ، وهذا التحول مطابق تماماً لتحولها فى ظل الحضارة العربية الإسلامية » .

قلت - لأغير الحديث ثانية - : « هل قرأت المعلقات ؟ » .

قال . بأسف : « كلاً . لأنى لم أعثر على ترجحات لها بالإنجليزية . وربما يعود سبب ذلك . إلى تشردى . وعدم الاستقرار فى حياتى » .

ثم أخرج قلماً وورقة من جيبه . وتابع : « أرجوك أن تكتب لى أسماء بعض شعراء الشرق الذين تحبهم . وتعتقد أن هناك ترجحات بالإنجليزية لأشعارهم » . كتبت على طرف الورقة المدعوك اسم : (جلال الدين الرومى) و (مرزا غالب) و (حافظ شيرازى) . ووضعها بعناية فى جيبه . وهو يقول : « سأكتب إلى ناشر كتبى فى أمريكا لكى يرسل لى مؤلفات هؤلاء » .

ثم رنَّ صوته . وهو يردد قصيدة (الموت) من ديوان (الذى يأتى ولا يأتى) المنشورة فى مجلة « الأدب الأجنبى مترجماً » التى تصدر فى كندا . وكان قد جلبها معه من باريس . وكان منشوراً فيها الترجحات لأعمال شعرية وأدبية عربية .

كما قرأ ترجمة خطية بالإنجليزية لقصيدة (تحولات نيتوكريس فى كتاب الموقى) من ديوان (كتاب البحر) التى أعد ترجمتها الدكتور محمد باقر علوان الأستاذ فى جامعة هارفارد . ثم قال : « الغريب أننا : (أنت وأنا) نلتقى فى أشياء كثيرة . فلدى أنا . أيضاً . قصيدة منشورة فى مجموعتى (غاسولين) بعنوان (صلاة فى ممفيس) تحدثت فيها عن إيزيس والنيل وعن معجزة العودة إلى الحياة بعد الموت .

- ٤ -

فى مساء ذلك اليوم ، جاء دور جريجورى كورسو فى المهرجان ، فانفض
على طواحين هولندا الساكنة فى حر الصيف ، وعلى رؤوس البورجوازيين
الصغار ، بصواعق شعره ، مثل بطل من أبطال المآسى الإغريقية .

كان صوته ، يحمل ، كل عذابات طفولة المهاجرين والمنفيين والخزافى
والضائعين فى كل مكان . أما المذلون المهانون ، المغلوبون ، فقد استقبلوه ، كما
يستقبلون ملكاً أو أميراً لهم .

ثم اختفى جريجورى كورسو فى نفس الليلة التى ألقى فيها شعره ، بنفس
الطريقة التى جاء بها . دون أن يودع أحداً .

عندما عدت إلى الفندق ، وجدت رسالة موجهة إلى . منه ، كتب فيها
رقم تليفونه فى باريس ، راجياً أن أتصل به ، عندما أمر بها . وعبارة (أنت
ملاك) بالخبر الأحمر .

عندما مرت بيباريس ، بادرت بالاتصال به ، هاتفياً ، جامعاً صوته
مصحوباً بكاء طفلة ، يقول : إنه يقوم الآن بدور المربية أو الحاضنة لطفله .
لأن زوجته تذهب كل يوم إلى عملها . وتتركه مع طفله - الذى هو بطاقة
الانتماء الوحيدة ، التى يحملها جريجورى كورسو فى هذا العالم - وافقنا أن

يتصل كلانا بالآخر في اليوم الثاني صباحًا . ولكني غادرت باريس في اليوم الثاني إلى الوطن ، وأنا أردد قصيدته (عودة إلى مهد الطفولة) من مجموعة (غازولين) :

نماذج من شعره

عودة إلى مهد الطفولة

أقف في الضياء المعتم ، في الشارع المعتم .
وأطلع إلى نافذتي ، حيث كنت قد ولدت هناك .
الأنوار تتلألأ في الأعلى ، ومن هنا وهناك أناس يتحركون .
بمعطف مطر وسيجارة في الفم
بقبعة على العين ويد على المسدس .
أعبر الشارع وأدخل البناية .
صفائح النفاية لم تنقطع رائحتها .
أصعد إلى الطابق الأول . المقابض المتسخة
تصوب نحوي سكينًا .

أنتزعه من استغراقه في الساعات الضائعة .

* * *

على جلوان غرفة مفروشة كتيبة

أعلق التصاوير لفتيات طفولتي -

بقلب منكسر أجلس ، متكئاً على الطاولة ،

أطلع ، ويدي على خدي

إلى عيني هيلين الفخورين .

وفم جان المسترخي ،

وشعر سوزان الذهبي .

ثلاثة

- ١ -

مغنى الشارع مريض

يحثم في البوابة ، ممسكاً قلبه

أغنية لم تُغن في ضوضاء الليل

- ٢ -

عبر الجدار
البستاني المعمر يغرس أثلامه
شاب جديد
جاء ، ليشذب شجيرات السور

- ٣ -

الموت ينتحب ، ذلك لأن الموت إنساني
يقضى طوال نهاره في السينا
عندما يموت طفل .

لست بحاجة إلى الشفقة

عرفت ممرضات الشفقة الغريبات
رأيتهن يقبلن المريض ويحدبن على العجوز
يقدمن الحلوى إلى المجنون
راقبتهم ، في الليل ، مظلمات وكثيبات
يدفعن الكراسي المتحركة بجانب البحر
عرفت كهنة الشفقة الكبار المترهلين
العجوز الرمادية الشعر ، الصغيرة
الكاهن الجار
الشاعر المشهور
الأم
عرفتهم جميعاً
راقبتهم ، في الليل ، معتمين وكثيبين
يلصقون إعلانات الرحمة

على أعمدة القنوط العارية .

* * *

عرفت الشفقة العلية القدرة نفسها
جلست بجانب أقدامها البيضاء الناصعة .
كاسبا ثقتها
لم تنفوه بأية بذاءة
لكفى ذات ليلة عُدبت من قبل المرضات الغريبات
والكهنة المترهلين
العجوز الصغيرة رُكبت سيارة مجترة فوق رأسى
الكاهن شوقاً بطنى ووضع يده فى داخلى
وصرخ : « أين روحك ؟ أين روحك ؟ »
الشاعر المشهور حملنى وألقانى من النافذة
الأم تخلت عني !
هرعت إلى الشفقة مقتحماً خدرها

فدنسته

ويسكين عمياء طعننها ألف طعنة
ودعكتها بالقاذورات
حملتها بعيداً على كتفى ، مثل غول مفترس
تحت فحمة الليل الحجرية
الكلاب عوت ، الققط ولّت هاربة ، جميع النوافذ أغلقت
حملتها إلى الطابق العاشر
ألقيت بها على أرضية غرفتي الصغيرة
ركعت بجانبها ، وبكيت وبكيت

(٣)

لكن ما هى الشفقة ؟ لقد قتلتها .
لكن ما هى ؟
أنت رحيم لأنك تعيش حياة رحيمة ،
القديس (فرانس) كان رحيمًا .

مالك الأرض هو رحيم أيضًا .
القصبة أيضًا
أيمكن أن أقول بأن الناس الذين يجلسون في المنتزهات
هم أكثر شفقة .

ياسنا شاميج

رجل في دمي

ياسنا شاميج : شاعرة يوغسلافية ولدت عام ١٤٩ في سرايفو
عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك . وأكملت دراستها في كلية
الفلسفة . وهي تشغل الآن معيدة في نفس الكلية . أصدرت في
عام ١٩٧٤ مجموعة شعرية بعنوان (لحظات ناقصة) . كما نشرت
قصة بعنوان (حدث ما) . والقصائد الست المنشورة هنا . هي
من عشرين قصيدة جديدة للشاعرة قمت بترجمتها إلى اللغة العربية
بعنوان (رجل في دمي) وهو العنوان الذي وضعته الشاعرة
لمجموعتها الجديدة هذه . وهذه القصائد تنشر لأول مرة . قبل
نشرها في لغتها الأصلية .

- ١ -

عبرتُ جميع طرق السماء
والزهد
في الوحدة فقط تكون
المعجزة أكيدة
كنت مع الآخرين
وهذه هي وحدتي
لكي أصل إليك
لتستقر فيّ
مرمرًا مصقولاً .
أنت الآن في الزنانة
في النسغ تنحدر
وأنا الآن صوتي
مندور للمستحيل

هبطت إلى أعماق
ويداك مبسوطتان
محرقتان
زرقاوان
وأنا لست موجودة
ولن أكون
حتى تكون أنت أنا

- ٢ -

إذا كنت في جانبي
سأعطيك في بخار المدينة
في القباب والمآذن
في البعيد
في نفاية الجسر
في أصوات البواخر في البسفور

سألبس نظراتك
مثل حرير حول جسدي
يرفرف مع صمت
النهار الذي يهجر المدينة
سنشرب معًا
هذه الصورة الرجراجة
للدنيا والبحر
سأتناول يديك وأضغط عليها بقوة
حتى يتحطم الجسر من الألم
أنت الآن أبعد من دخان الفراق
ومن إشارة المرور هذه
من الشمس والليل
وليس بي منك إلا ظلال يدك فقط

- ٣ -

هذه الأيدي
والجسد المتصب
والكلمة المسطحة
مجرد أشياء غير واقعية
للسهل الصافي للكذب
ارفع يديك
وقرب عينيك
وبحرمة واحدة
عرّني
عرني من جلدي
ومزق لحمي
وادخل من عيوني
إلى الليالي البيضاء
طهر الجسد بالنار

التي تُوجع

و ...

مُتّ حالمًا

في أعماق أعماق

أما أنا - فسأحيا

- ٤ -

سهلٌ عليهم أن يقولوها

لأنهم يعرفون ما يريدون وما لا يريدون

ولأنهم يملكون (لا) واحدة

صعبٌ علىّ أن أقولها

لأن لي لاءين

وصعب عليك أن تقولها أيضًا

مثلي تمامًا

لأنني عندما أقول (لا)

فواجبك أن تعرف إذا كنت أقصد
(لا ... نعم)
أو (لا)
لأجل هذه الـ (لا) والـ (نعم)
أنا آسفة
وأفهمك تمامًا
عندما تواجهني بـ (هل)

- ٥ -

ليس بمقدور
التنين أن يهاجمنى
ولا آكلوا الحجر
فما أنا إلا كرية دم النهار
وهؤلاء

ما هم إلا خدم ليل
وديقة سكارى
يجبون اللحم
والدم
وأنا لا أخاف
هذه الحيوانات المتسلطة
لأن الشمس
الشمس تؤذيني
ولأن الريح
الريح تؤلنى
ولأن البحر
البحر يحرقنى
ولأن السماء
والحجر:
السماء تقرصنى

والحجر يعشقني
أعطيه الشمس
أعطيه الريح
ليشرها
وهو
يعانلني

- ٦ -

رجل في دمي
كما في عربة قطار
محتنقة بسحب الدخان
ومع الاهتزاز المستمر
للكلمات والتنهدات
نفختق
أنت وأنا

في جسدی
تتضرع لکی تتنفس
وأنا أريد الدخان
والمزيد منك ومن الكلمات
لأخبتك في عظامی
وأضفرک في عروق
جسدی الوحيد
وأعطيك بجلدی المتصلب
تتضرع لکی تتنفس
وأنا لا أدعك
تخرج من دوائر أفکاري
وطرق النار
كما في عربة قطار محتنقة
أنت وأنا
وحيدان

منغلقان
مصاقبان للنهار
وإلى أينما يمضي بنا الطريق
أنت تتضرع لكي تتنفس
وأنا لا أدعك .

- ٧ -

الساعة الآن هي الواحدة بعد منتصف الليل
لا شمس ولا هاوية ساحرة
في هذا الليل
فما هذا الذي يدور في عيني
ويعانقني ؟
مجرد زمن بلا وجود ؟
وهذه الأيدي
بلا حركة

تتحسس جهتي
وهذا الجسد بجانبني
يمتد إلى ما لا نهاية
ووجهه الآخر الموجود
الساعة الآن هي الواحدة بعد منتصف الليل
هذا الليل
يذهب ودموع المطر
تجلد ظهري
تهيب بي أن أهرب
ولكن إلى أين سأذهب
فالزمن مثل العريس البردان
يلتصق بي
الساعة الآن هي الواحدة بعد منتصف الليل
المطر يجلد ظهري
ويهب بي أن أذهب

ولكن إلى أين سأذهب
في هذا الوقت ، الأيدي
كنت في داخلي تحترق
وكان الليل يحترق أيضاً
من وجهينا الملتهين
والآن
أين ؟
وهل سيكون الشيء نفسه في ذلك المكان
فها هوذا الزمن الذي يحىء
وها هي ذى الأحلام التي تذهب

- ٨ -

الفجر
هو يد الخلاص
لهذا الحزن الذي يأخذ بخناف الظلام

الموت فى الظلام مثل الطاووس
يسط ذيله الشرير
ويجرى التفكير فيه بموت القريب
يقرض الجسد
شيئًا فشيئًا بألم .
غير مجد
أن يسند ثانية وجهى بيده
فى مكان ما ينام الجسد
لا شيء فيه
حتى الموت .
ها هو ذا يهبط إلى أعماق
يتنفس فى داخل
فلماذا لا يضاجع الموتى
ليعيش الأحياء
إذا هبط الفجر

فسأقبل كل حزمة
من الضياء الصافي النبيل
سأقبل الحجر
الأرض
الريح التي تمر بي
سأقبل كل شيء
بعمق وحرص
وإخلاص
سأقبل كل شيء
لأنه علمني التقبيل

- ٩ -

أنتظر
وهذا يعني
يقظة النبؤ الشرير

والأشياء غير المؤكدة ، المثيرة للسخرية
كما لو أن أحداً ما يمّوه الأشياء على
أعدّ الثواني التي تمر فوق إهابي ببطء
أرقب بينها هذا الذي أنتظره

ولكنني لا ألس
إلاّ الدقائق العطنة .

أركض أمام النهار
لأسبقه

لأستعيد منه

وأستحوذ على ما سيحني به ، قبله
ولكن هذا النهار لم يأت بعد ولم يكتمل
مثل طفل

يجلس فوق ركبتى

أنسى الانتظار

أهدد النهار

فوق ركبتى
وأنظر إليه
وهو ينمو
ويشعل النار تَوًّا
فى الغرفة
وعينائى جاحظتان
من الانتظار

- ١٠ -

ماذا رأيت فى جسدى
وأنت تقرب شفتيك ؟
أيها الريح
ماذا رأيت من قبح فى وجهى
فأغمضت عينيك .
تعانقنى مثل الأعمى

عندما يلامس النار
بأيد متردة
تلتفت حولي
أقف خرساء
في فخ
والألسنه الهادرة
تضرب في عميقاً
وأنا لا أراك .
في اللامكان
أرى أشجاراً فقط
تقهقه فقهقات عالية
وتنحني نحو الأرض
أقف مبهورة
وأنت صدى في جسدي
وأشعر

كأننى أصبحت أنا الريح أيضًا
ألتف حول الأشجار
التي تقهقه قهقهات عالية
وتتحنى نحو الأرض
وأربت عليها .

- ١١ -

وضعت المساء
بين ذراعى
وهو يرفرف الآن بين جسدى
هذا المساء
يلدب الآن فى جسدى
وكأن الكون كله
يتوغل فى عظامى
ليستقر فى الرئة

وليصبح الجسد أكبر من السماء .
وضعت المساء
بين ذراعى .
دخلت بقدم السحاب
ومع هسهة السماء
متوغلاً في
مأخوذاً
بالشمس والمطر
والينابيع والظلام
وضعت المساء
بين ذراعى
وها أنت الآن قطرة ماء العناق
وأغنية الدم الصامت
واللانهاية المكورة المتوغلة في
وضعت المساء

بين ذراعى
هائماً ، مستيقظاً فى أعماق

- ١٢ -

أنت أعمى
أعمى تماماً
فى داخلى
وعيناي تمران بمدن
وتقبّلان الريح
الذى ينجبىء عنى
أنت لا ترى شيئاً
تنام فى أحلامك الهائلة
فى داخلى
وتظن كأن يدي
مثلجتان من الشتاء الذى يتظرفنى

على نافذتي عندما أعود إلى البيت
تظن أن عيني مغلقتان
عن النهار الذي يهرع إلى موعدى
وبراعم وقبلات
كل يقظتى
أنت فى داخلى
ولا تسأل
لمَ عظامى حارة ؟
والشوارع ضيقة ؟
والسمااء لا تسعنى ؟
ولماذا ترتجف يدى
عندما تلامس الشىء الجديد .
أنت الآن فى داخلى
حجر من قطيفة
وآونة أخرى أرض متحجرة

لا يثبت فيها شيء
أنت لا ترى الآخرين :
الأغصان ، السفن البعيدة
في عيني .
أنت الآن الموت
وفي لحظة أخرى الولادة
أنت لا تراني
لأنك لا ترى إلا نفسك في داخلي

- ١٣ -

الليل غطانا
بالسكون
والصمت
تدخل بابتسامة مشرقة
وأقدامك مثليجة

من المشى .
أشريك دون شعورى
بأنفاسى
تختال
فى دى بنعومة
مثل تنوينة
أضع لك إكليلاً من الزهر
بشفاهى حول عنقك
أسكب نجومًا
فى عينيك
وضحكائك
أنظر متفرعة إلى القمر
المنعكس على زجاج النافذة
فأنت الآن خيال أبيض
أشربه على مهل فى الليل

وآونة أخرى مجرد ربح
تحملنى سكرى .
أنت مجرد رغبة مستحيلة
مثل القمر
المنعكس على زجاج النافذة هذه

- ١٤ -

محترقاً فى أعماق
فى النار المتأججة
رجل ألفظه من فى .
محترقاً فى أعماق
رجل هبط فجأة
إذا كانت يدى
ماء
ولست هى النار التى تأتى على كل شىء

إذا كان فكري

حجراً

فلتضعه بقوة

دون أن تلمسه .

سأنظر بدون انفعال

كيف يتعاقب الرجال

على جسدى

سأنظر بدون أن أغمض عيني

كيف يحترق الحب

ثانية

- ١٥ -

أريد أن أحلم

وأفكر بالسماء

وأقضم القمر

١٠٤

في الأمسيات البطيئة
أريد أن أفتح النافذة
وأصرخ باسمك
أو بأى اسم آخر
وكما الشمس في المساء
سألفظ القمر
العالق بأسناني .
أريد أن أحلم
عندما أجلس إلى المائدة
وأتناول الحساء
وعندما أقول مرحبًا
أريد أن أحلم بك
وأنا أنظر إليك
مقبلة شفتيك في يدي
لأن القمر في تلك البرهة في في

مثل عطر شرق ينبعث من امرأة
ولأنتك في تلك البرهة
مثل نشوة النبيذ
وارتعاشة الجمال .
والحساء تزيق
أسكب فيه
نهارًا أسود
عاديًا .
أريد أن أحلم
أما أنت فماذا تستطيع
أن تفعل ؟

- ١٦ -

في عظامي
التي صدئت

من تكرار نفس الحركات
ونُحدرت من نفس المناظر
استقر رجل
آه ساعلى أيها السم الذى
استقر فى
واسكبه بكراهية
ومرارة قاتلة
ليخرج منى كالمجرى
وليذهب بعيداً
كما جاء بغتة .
أشعر بضيق
ووحشة
فى عظامى
ولحمى ، أنا .

- ١٧ -

هذا الرجل
الذي مرّ
اخترقني مثل الريح
من ظهري
وقرّع في عظامي
أشعر بالبرد
وهو يفعل بي ، هكذا ، دائماً .
كلما مرّ من أمامي
كلماته تهرب إلى كل مكان
عيناه تنطان وراءه
متأخرتين
وفهي
طائر ... فاغر ...
ليقول شيئاً

- ١٨ -

كنا جالسين
تحت القمر
تحت السماء
على الحجر
وكل شيء كان
بالغ البساطة
الكلمات
السماء
الحجر
أما الضوء
الأحمر
على المبيت
البالغ البساطة
فقد كان حيًّا

ونافذ النظرة
يهمس من بعيد
اتركى هذا المساء البليل
هذا اللعب
البالغ السذاجة

- ١٩ -

لنلعب
فالحياة محجوبة عن عيوننا
ربما هي لم تكن

.....

لنلعب كل الألعاب
أجرح شعورى
عانق كآبى
افتح

١١٠

ومزق
كل (لا)
ودع منها قليلاً فقط
لأجل المشاكسة
لأجل اللعب
وأنا
سأطبع قبلاتك
على كل جسدي
وعلى الأشجار
وعلى الأزهار المستيقظة .
شفتاك
تحت أظافري
سأضعها
كل النظرات
سنجمعها في نظرة واحدة

سأضع كلمتك
في في
وهكذا سأمشي في المدينة
وسأفعل أشياء جادة

- ٢٠ -

المرض
هو شوك الحياة منغرس
في مرآة الموت
.....
المرض
محاط بوجوه وعيون
الذين يعيشون
الذين يشربون الضوء
الذين يلمسون الشمس بأيديهم

الذين يكرهون النهار

.

المرض

هو لعبة الحياة

وعد

امتحان

.

هو عودة من الدهشة

قسم بالسلم

دهشة مجنون

مدّ يد الصلح

.

المرض هو الحياة

متوجهة نحو نفسها

وإلى مصب حبر قرارها

وحزم فكر وانتظار

الميت

.

هو مرآة

مظلمة ومائعة

يضع الموت فوقها إصبعه .

ويلحسه

يمصص شفثيه ويتذوق ضاحكاً

أما الحياة فهي تفر وتتسلل

مثل قطرة سحرية

من الشمس في الفراغ

.

مرة واحدة

الموت والحياة هما معاً

يتشاكلان في الجسد

ويغلقان الدنيا
ويشتبكان بأيديهما
ويتمايلان
كأنهما عاشقان
يلعبان
لعبة غامضة
غريبة

الفهرس

- ١ - بيلا أأحمدولينأ : النألة العأشقة ٥
- ٢ - أنأريه فوزنسنسكى : صوآ السنوآ الضوئية ٢٣
- ٣ - عزآ سرايليش : سنأيانة على نهر أرينا ٣٧
- ٤ - أوبأورى كورسو : لبال روترأام ٥٩
- ٥ - ياسنا شامبج : رأل فى أمى ٧٧

دواوين وكتب للشاعر

- ١ - ملائكة وشياطين الطبعة الثالثة بيروت ١٩٦٩
- ٢ - أباريق مهشمة الطبعة الخامسة بيروت ١٩٧٠
- ٣ - المجد للأطفال والزيتون الطبعة الرابعة بيروت ١٩٦٩
- ٤ - أشعار في المنفى الطبعة الخامسة بيروت ١٩٦٩
- ٥ - عشرون قصيدة من برلين الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧٠
- ٦ - كلمات لا تموت الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧٠
- ٧ - النار والكلمات الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧١
- ٨ - قصائد الطبعة الأولى القاهرة ١٩٦٥
- ٩ - سفر الفقر والثروة الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧١
- ١٠ - النى يأتى ولا يأتى الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٨٥
- ١١ - الموت فى الحياة الطبعة الثانية بيروت ١٩٧١
- ١٢ - بكائية إلى شمس حزيان والمرترقة الطبعة الأولى بيروت ١٩٦٩
- ١٣ - عيون الكلاب الميتة الطبعة الأولى بيروت ١٩٦٩
- ١٤ - الكتابة على الطين^١ الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٨٥
- ١٥ - يوميات سياسى محترف الطبعة الأولى بيروت ١٩٧٠
- ١٦ - رسالة إلى ناظم حكمت وقصائد أخرى الطبعة الأولى بيروت ١٩٥٦

- ١٧ - بول البلوار مغنى الحب والحرية لكلود روا
بالاشتراك مع أحمد مرسى الطبعة الأولى بيروت ١٩٥٧
- ١٨ - اراغون شاعر المقاومة للالكولم كولى ويتر. ك. رودس
بالاشتراك مع أحمد مرسى الطبعة الأولى بيروت ١٩٥٨
- ١٩ - محاكمة فى نيسابور (مسرحة) الطبعة الثانية تونس ١٩٧٣
- ٢٠ - تخرجى الشعرية الطبعة الثانية بيروت ١٩٧١
- ٢١ - المجموعة الشعرية الكاملة فى مجلدين ١٩٥٠ - ١٩٧٠ بيروت ١٩٧١
- ٢٢ - قصائد حب على بوابات العالم السبع الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٨٥
- ٢٣ - كتاب البحر الطبعة الثانية القاهرة ١٩٨٥
- ٢٤ - سيرة ذاتية لسارق النار الطبعة الثانية القاهرة ١٩٨٥
- ٢٥ - صوت السنوات الضوئية الطبعة الثانية القاهرة ١٩٨٥
- ٢٦ - قر شيراز
- ٢٧ - مملكة السنبلة

يعدا استطاع ان يسرق نار النعير فانطلق .
من الكون، الحليمه . يحرق بها . وبقى نفسه فيها .
ونجس مع العاصم والكون .

مدخل البياني يعود . ويعود لرجل من
حدا . مبعث (شراز) أو يعني نفسه في المحر
عن (الذي تأتي ولا باقي) .. أو بغوص في أعماق
(البحر) .. محتر بأفكاره (على الطين) . أو حتى
مع (عائلة) التي تبعت بهما في صفتها على نسف
البر

إنه مهاجر إلى مديته لا يصل إليها احد . هجرته
نلت هي قاده اختوم الذي لا يستطيع الفكك منه ..
هجرته ككل هجرات البحث والكشف والارتداد ..
تدبلة حافة . مغلطة فاسية

...
...

عبد الوهاب البياني

مواليد بغداد ١٩٢٦

تخرج في دار المعلمين عام ١٩٥٠
وعمل مدرسا ثانويا .

صدر ديوانه الأول (ملانكة
وشياطين) عام ١٩٥٠ ثم توالى
أعماله بعد ذلك .

فصل من عمله في مجلة الثقافة
الحديثة واعتقل عام ١٩٥٤ ثم
ترك العراق إلى سوريا فلبنان
فمصر .

عاد إلى وطنه عام ١٩٥٨ مديرا
للتأليف والترجمة والنشر بوزارة
المعارف العراقية .. ويعمل الآن
مستشارا ثقافيا في مدريد .
مثل بلاده في أكثر من مهرجان
دولي .